التكامل الحضاري بالإحسان في القرآن الكريم والإرث النبوي وأثره في التنمية

د/ أميمة الحمزة محمد أبوحساب

مقـدمة

الحمد لله الذي وعد على مقابلة الإساءة بالإحسان خير الجزاء, أحمده سبحانه على السراء والضراء, وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، خاتم الرسل وأفضل الأنبياء, اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد, وعلى آله وصحبه.

أما بعد:

فإن الإسلام يستهدف الإسلام أن يطبع حياة المسلمين بطابع الإحسان الشامل بكل أبعاده وآفاقه ، بأن يعم الإحسان كل عمل وكل تصرف وكل قول على كل المستويات الفردية والجماعية وعلى مستوى الدولة والأمة في علاقة الفرد بخالقه وأسرته والمجتمع الذي يعيش فيه وعلاقة الأمة بالفرد وعلاقة الدولة بالأفراد والجماعات في العلاقة بالله.

ولابد –للتخلص من هذا الركود التنموي والحضاري– من تغيير مجرد الاقتصار على عرض قصة التاريخ الزاهر، والبدء بكتابة صفحة جديدة متميزة وحديثة من إبداع الأمة المسلمة تحت إشراف وهيمنة الإحسان في كل شئ ، ومعاينة أخبار أوائل المحسنين من المفكرين والخبراء المسلمين، مع الاستفادة من أسباب النهضة في الماضي لا الركون عند حدها، والمكوث بعيداً عن إعادتها للأمة من جديد، فهذه هي أزمة واقعنا المعاصر .

أولا : أهمية البحث :

إن السمة التي يتفرد بها موضوع الدراسة هي ضمانة تحقيق التنمية في المجتمع ، عن طريق فهم تطبيقات التوجيه القرآني وإسقاطه على الطاقات المعطلة في كافة شئون ومجالات الحياة ، وذلك يعد ضرورة ملحة لتحفيز الدور المحوري الذي تقوم به تلك الطاقات فى سبيل الابتكار التكنولوجي والتقدم العلمي والتنمية الشاملة ، وبالتالي وضع الاستراتيجيات المناسبة للتحولات والتحديات العلمية ومحاولة التواؤم معها في ظل الصراع والتنافس الحضاري .

منهج البحث :

اتبعت الباحثة في منهج دراسته عدة مناهج بحثية انطلاقا من مبدأ التكامل المنهجي في دراسته وهي كالآتي :

1. المنهج التاريخي : لأن البحث يرتبط بأحداث استشهادية تاريخية.

2 . المنهج الوصفي : حيث تصف الباحثة ملامح التنمية في ظل منهج القرآن في تحفيز الطاقات المعطلة .

3 . المنهج التحليلي : سلكت الباحثة بعض التحليل لبعض القضايا المرتبطة بالطموح الحضاري في ظل التوجيه القرآني ومواءمته للتنمية الحضارية ، وصولا إلى أهدافه .

خطة البحث :

تحتوي هذه الدراسة على مقدمة وأربعة أبواب وخاتمة :

المقدمة : وفيها زبدة موجزة عن موضوع الدراسة وأهمية الموضوع ومنهج البحث وخطته

التمهيد: حول المفاهيم.

المبحث الأول: التكامل الحضاري بالإحسان المجتمعي، توجيه قرآني ومنهاج نبوي

المبحث الثاني: الإحسان في التنمية، وأثره في ضوء التكامل الحضاري القرآني النبوي

المبحث الثالث: من النماذج التطبيقية للإحسان في ضوء التكامل القرآني النبوي

الخاتمة : وفيها أهم النتائج والتوصيات .

التمهيد

حول المفاهيم

من مقتضيات البحث العلمي تحديد مفاهيم مصطلحاته وذلك في الآتي:

أولاً: الحضارة لغة واصطلاحاً:

الحضارة لغة: من مادة (حَضَرَ)، وهي تدل على إيراد الشئ وروده ومشاهدته، والحضر عكس البدو[1].

(1) ابن فارس، "مقاييس اللغة"، (75/2)، الراغب الأصفهاني، "المفردات في غريب القرآن"، (ص241).

والحاضرة: بخلاف البادية، وهي المدن والريف والقرى، وسميت بذلك لأن أهلها حضروا الأمصار والديار بخلاف أهل البادية والقرى[2].

والحضارة اصطلاحاً: لها عدة تعريفات منها تعريف محمد محمد حسين بأنها: "كل ما ينشئه الإنسان في كل ما يتصل بمختلف جوانب نشاطه ونواحيه، عقلاً وخلقاً وروحاً وديناً ودنيا"[3].

وهذا التعريف يشمل جوانب الحضارة المختلفة، المادية والمعنوية والروحية ويهتم بأهدافها الدينية والدنيوية.

ولها تعريف ءاخر، ذكرها أبو الأعلى المودودي بأنها: "نظام متكامل يشمل كل ما للإنسان من أفكار وآراء وأخلاق وأعمال في حياته الفردية أو النظرية أو الأسرية أو الاجتماعية أو الاقتصادية أو السياسية"[4].

فهذا التعريف يقصد به أن الحضارة هي تصور سليم للحياة، وأهدافها وغايتها، في نظام اجتماعي يقود الإنسان للوصول إلى الأمان والرقي، وهي ليست مجرد تصورات نظرية فقط، وإنما هي قيم ومبادئ وأسس تطبيقية، تهتم بكيفية تطبيق التصورات التي تؤدي إلى التقدم ولتطور الحضاري.

وإذا نظرنا في اصطلاحات (الحضارة) المختلفة؛ فإننا سنجد أن بعض العلماء قام بتعريفها تعريفاً عاماً، ومنهم من عرفها تعريفاً خاصاً بالمفهوم الإسلامي لمعنى الحضارة والمراد منها، فهي حينئذ عبارة عن السعي المتواصل والمستمر للإنسان للوصول إلى تحقيق غايته التي لا تخرج عن مراد الله تعالى، وفطرته التي فطر الناس عليها، وهي أن يكون الإنسان خليفة لله تعالى في الأرض، بأن يؤدي ما عليه من واجبات وتكاليف دينية ودنيوية، مما أمره الله تعالى بتأديتها، وهي العبادة وعمارة الأرض.

كما قال تعالى: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)، [الذاريات:56].

ثانياً : الإحسان لغة واصطلاحاً:

(2) الفيروزآبادي، "المفردات في غريب القرآن"، (ص386).

(3) محمد محمد حسين، "الإسلام والحضارة العربية"، (ن:دار الفرقان)، (ص4).

(4) أبو الأعلى المودودي، "الحضارة الإسلامية أسسها ومبادؤها"، (ص5).

الإحسان لغة: يأتي الإحسان في اللغة على عدة معان، منها: الإتيان بالفعل الجميل على وجه الإتقان والإحكام، والتزيين والإخلاص والخشوع ، وغير ذلك ، وفيما يأتي بيان ذلك :

الإحسان : "مشتق من الحسن ، ومادة الحسن تدور في اللغة حول الجمال"[1] في كل شيء ، وهو "ضد القبيح ونقيضة"[2] ، و"حسنت الشئ تحسينا: زينته"[3]، و"المحاسن : المواضع الحسنة من البدن"[4] .

وقال الجرجاني في التعريفات : "الحسن : هو كون الشيء ملائما للطبع كالفرح، وكون الشيء صفة الكمال كالعلم ، وكون الشيء متعلق بالمدح كالعبادات وهو ما يكون متعلق المدح في العاجل والثواب في الآجل والحسن لمعنى في نفسه عبارة عما اتصف بالحسن لمعنى ثبت في ذاته كالإيمان بالله وصفاته ، والحسن لمعنى في غيره هو الاتصاف بالحسن لمعنى ثبت في غيره كالجهاد فإنه ليس بحسن لذاته لأنه تخريب بلاد الله وتعذيب عباده وإفناؤهم)[5] .

وقال ابن سيده : " الحسن ضد القبح وحسن يحسن حسنا فيهما فهو حاسن وحسن ، وجمع الحسن حسان ،والحسنة ضد السيئة ، والإحسان ضد الإساءة"[6].

الإحسان اصطلاحاً:

عرفه رسول الله بقوله في جوابه على سؤال جبريل حين سأله: (مَا الْإِحْسَانُ؟ قَالَ: أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ).

الإحسان : "أن تعبد الله كأنك تراه ، والإحسان : العفو عن الناس".

وقيل: "الإحسان : الصبر على طاعة الله في أمره ونهيه سراً وجهراً"[7].

ويقول سفيان الثوري : الإحسان: أن تكون السريرة أفضل من العلانية، ويقول علي رضي الله عنه ، الإحسان: التفضل"[8].

ثالثاً: التنمية لغة واصطلاحا:

---

[1] الفيروزابادي ، "القاموس المحيط"، (213/4).

[2] ابن منظور، "لسان العرب"، (877/3)، الرازي، محمد بن أبي بكر "مختار الصحاح"، (ص136).

[3] ابن منظور ، لسان العرب، (877/3)، الرازي، محمد بن أبي بكر "مختار الصحاح"، (ص137).

[4] الفيروزابادي ، القاموس المحيط ، جـ 4 ، صـ 214 .

[5] علي بن محمد بن علي الجرجاني ،التعريفات ، تحقيق : إبراهيم الأبياري (ط. دار الكتاب العربي – بيروت ، طبعة أولى ، 1405) صـ 117 ، 118 .

[6] أبو الحسن، علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، "المحكم والمحيط الأعظم"، (197/3-198).

[7] العز بن عبد السلام، "تفسير العز بن عبد السلام"، (577/1).

[8] محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي ، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، (دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان . الطبعة : 1415 هـ- 1995 م) جـ 2 ، صـ 435 .

تعريف التنمية لغة:

التنمية في اللغة من نما ينمو أي زاد، والنمو في اللغة: هو الكثرة والزيادة كماً ونوعاً[5].

فالتنمية فى اللغة تعنى إحداث الكثرة والزيادة، كما وردة فى القرآن بمعنى النماء والزيادة والصلاح والإنبات والتنشئة والإرتفاع والبروز، وهو معنى أوسع من مجرد الزيادة كماً ونوعاً.

قال تعالى : ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾، [الشمس:9]، وقال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾، [التوبة:103].

وكلمة (زكا) في اللغة تعنى: النماء والزيادة والصلاح والطهر.

وقال تعالى (فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا)، [عبس:27].

والإنبات لغة: من (نبت) أي برز وارتفع وزاد، وقال تعالى: ﴿فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ﴾، [المؤمنون:19].

والتنشؤ في اللغة من (نشأ): التولد والإرتفاع والتربية، وهو معنى مرادف للتنمية والنمو[6].

ثانياً: تعريف التنمية اصطلاحاً:

قيل التنمية هي: "المساهمة في تقدم أو رخاء أفراد أو أنشطة أو مشروعات المجتمع"[7].

وفى معجم المصطلحات الاقتصادية ورد تعريف بالتنمية بأنها:"عملية التغيير التي يقوم بها الإنسان من مجتمع تقليدي إلى مجتمع متقدم صناعياً بما يتفق مع احتياجاته الاجتماعية والاقتصادية، وبمعنى آخر هو تحول المجتمع الثابت إلى المجتمع المتغير وفق احتياجات جماهير الشعب[8].

وقيل إن التنمية تعني : "عملية متعددة الأبعاد تتمثل في الهياكل الاقتصادية والاجتماعية ، فالتنمية الاقتصادية إذا هي عملية متكاملة بشقيها الاقتصادي ويقصد به: زيادة الدخل القومي الحقيقي للمجتمع ، والشق الاجتماعي ويقصد به أحداث تغيير اجتماعي وثقافي وسياسي، و يسير الشقين جنباً إلى جنب"[9].

المبحث الأول

التكامل الحضاري بالإحسان المجتمعي

([5]) المعجم الوسيط، (956/2).

([6])المصدر السابق، (396/1).

([7]) أحمد زكى بدوي، "معجم مصطلحات الرعاية والتنمية الاجتماعية"، (ص 203).

([8]) أحمد زكى بدوي، "معجم المصطلحات الاقتصادية"، (ص 66).

([9]) عادل حسين ، "تجربة مصر في التنمية الاقتصادية"، (ص412).

توجيه قرآني ومنهاج نبوي

- **التكامل الحضاري بالإحسان في المعاملات وبناء القيم المجتمعية :**

إن التعاملات الإنسانية تعتمد على تفاعل الأفراد في جميع أنواع المجالات، ويُشاهد هذا التفاعل بصفة عامة في تنظيمات العمل، حيث يرتبط الأفراد بنوع من البناء والنظام الشكلي في سبيل تحقيق هدف معين من خلال الترابط والانسجام والتعاون فيما بينهم[1].

والإنسان يميل بطبعه إلى مخالطة الناس والتعامل معهم، وهو بحاجة إلى ذلك بحكم المصالح المشتركة، وحاجة كلِّ إنسانٍ لأخيه الإنسان، فلا يمكن له الاستغناء عن الآخرين في تحقيق مصالحه، هذه الحقيقة التي جاء بها القرآن الكريم وبيّن أبعادها؛ تنبّه إليها عددٌ من العلماء وعلى رأسهم ابن خلدون في القرن الثامن الهجري ، وما تزال الأيام تثبت لنا صدقها، ودقّة وصفها للسلوك الإنساني.

فقد بين لنا القرآن الكريم أن الناس مهما تعددت أجناسهم وألوانهم فإن أباهم جميعاً هو آدم عليه السلام. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَـــاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[2].

فالقرآن يُؤكد وحدة أصل الناس، وصلة القُربى بينهم، باعتبارهم أخوة ينحدرون من أصل واحد، وإنّ هذا التوحّد في الأصل والمنشأ، حريٌّ به أن يقود الناس إلى الإحسان والتعاون والتفاهم والالتقاء على الخير والمحبة.

والناظر في صيغ الخطاب القرآني، يجد أنها تؤكد وحدة الأصل الإنساني، فكثيراً ما تتكرر في القرآن صِيغ النداء بـ ﴿يا أيها الناس﴾ و ﴿يا بني آدم﴾، مما يشير إلى أن الله سبحانه كرّم هذا الإنسان وفضّله على كثيرٍ من خلقه، مُعلناً بذلك مبدأ المساواة بين البشر، فلا فضل لجنس على آخر باعتبار اللون والعنصر والنشأة. ويرتقي بهذا الإنسان حين يعلن أنّ أســـاس الثواب والعقاب يرتكز على النوايا والأعمال لا على الظواهر والأشـــكال. قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾.

ولكن البشريّة حين تُغيّبُ عقولها، وتطمس ضمائرها؛ تتناسى هذا المبدأ، وتضرب بكل هذه القيم عرض الحائط، فتنتشر العنصرية البغيضة، وهنا يتجلى دور الإحسان في ضبط سلوكيات الأفراد نحو تعامل مثالي يعلوه الإخاء وتكسوه الرحمة.

---

[1] مرسي، سيد عبد الحميد: "العلاقات الإنسانية"، (مكتبة وهبة ، د. ت)، (ص11).

[2] ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، "مقدمة ابن خلدون"، (بيروت: دار القلم، ط. خامسة ، 1984م)، (ص41).

وبعد أن بين لنا القرآن وحدة الأصل الإنساني؛ بين لنا في سياقٍ آخر أنَّ هذا الأصل تفرَّعت عنه الشعوب والقبائل والأمم، وأنَّ الهدف من هذا التنوع بين الناس هو الإحسان والوصال والتفاهم والتعارف فيما بينهم. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾، [الحجرات:13].

فالغاية التي جعل الله الناسَ لأجلها شعوباً وقبائل –كما تدلّ الآية– ليست التناحر والتنازع، ولكنها التعارف والوئام، فأما اختلاف الألسنة والألوان، واختلاف الطبائع والأخلاق، واختلاف المواهب والاستعدادات، فتنوّعٌ لا يقتضي النزاع والشقاق، بل يقتضي التعاون للنهوض بجميع التكاليف، والوفاء بجميع الحاجات. فالناس أخوة في الإنسانية، لأنهم من طينة واحدة، وتنوعهم إلى شعوب وقبائل ليس أمراً تتغير به حقيقة الإنسانية في الإنسان.

وإذا كان القرآن الكريم قد اهتم ببناء المعاملات الإنسانية على المستوى الإنساني العام، فهو في الوقت نفسه لم يَغفل عن أهمية بناء هذه العلاقات في مستوياتها الخاصة.

وتبدو أواصر الإنسانية في تدافع الإحسان من ساحات المواجد على مستوى المعاملات الإنسانية بين الأفراد على اختلاف أشكالهم، بدءاً من الوالدين، واتساعاً لتشمل القربى واليتامى والمساكين والجار القريب وغير القريب وابن السبيل، ويتجلى هذا المفهوم في القرآن الكريم.

قال تعالى: ﴿وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُورًا﴾، [النساء:36].

وقال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[التوبة:71].

فالمعنى الإيماني هو الذي يقود عملية العصف الشعوري الوجداني الرحيم، ويدفعه نحو الإيثار والبذل والشعور الواحد على حد قول رسول الله ﷺ: "ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم، كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى"[10] ذلك المعنى الإيماني الذي يجري في عروق وأوردة المؤمنين، يكمن في صلتهم بالله تعالى؛ استشعاراً بملكيته الحقيقية للكون والسماوات والأرض ومن فيهن، فهي صلة لا نظير لها، ولا أساس للقياس بين الصلات في الأصالة والعمق والاحتواء والسعة والشمول والإحاطة، وأقل ما يقال فيها إنها صلة الخالق والمخلوق، والرب والمربوب، والرازق والمرزوق، والمالك والمملوك، والحاكم والمحكوم، إنها صلة هذا الرب الكريم الكمالية، وأفعاله البديعة، وربوبيته الحكيمة الرحيمة، ورعايته اللطيفة الدقيقة، وأن يُخلص له الحب ويهيم به القلب، وتُبذل

(10) أخرجه البخاري في "صحيحه" من حديث النعمان بن بشير، كتاب الأدب، باب: رحمة الناس والبهائم (540/10).

في سبيله الأرواح، فضلاً عن الأموال والأملاك، ذلك المعنى هو الأداة الفعالة القوية التي تحرك الهمم نحو عملية الإنفاق[11].

وعلى هذه الهيكلة تسير منظومة الإحسان كالتالي:

أولاً: الإحسان بالوالدين:

وفيه يقول الله تعالى في غير موضع في القرآن الكريم ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُورًا﴾ [سورة النساء: الآية 36].

ومما يظهر مكانة الإحسان بالوالدين في ديننا الحنيف؛ النصوص النبوية الكثيرة المستفيضة، والتي تحث على بر الوالدين وتنهى عن عقوقهما، فمن ذلك ما في الصحيحين من حديث ابن مسعود ﷺ قال: "سألتُ رسول الله ﷺ: أي العمل أحب إلى الله؟ قال: الصلاة على وقتها، قلت: ثم أي؟ قال: بر الوالدين، قلت: ثم أي ؟ قال: الجهاد في سبيل الله".

وعنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو عَنِ النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ (رِضَا الرَّبِّ فِى رِضَا الْوَالِدِ وَسَخَطُ الرَّبِّ فِى سَخَطِ الْوَالِدِ)[12].

ولئن كانت النفوس السوية مجبولة على حب من أحسن إليها، فإن من شرائع الدين وسمات المروءة وضرورات العقل أن يقابل الإحسان بالإحسان، كما قال الله تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الإحْسَانِ إلا الإحْسَانُ﴾،[سورة الرحمن:60].

فمن حقوق الوالدين عليك محبتهما وتوقيرهما على من سواهما، ومن برهما الإحسان إليهما بالقول والعمل والحال كما قال الله تعالى: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً﴾.

ومن الإحسان بالوالدين التواضع لهما وخفض الجناح قال الله تعالى: ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيماً وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً﴾، [سورة الإسراء:23-24].

وبهذا يتضح جليا ، أن مجال الإحسان بالوالدين يتصدر العبادات بعد عبادة الله تعالى.

ثانياً: الإحسان بذي القربى:

فالأقارب أول بؤرة في المجتمع، إذا تحقق لها الكفاية؛ انطلقت عملية التكوين المجتمعي على أنساق متوازنة، مما يجعل المنظومة الاقتصادية الإسلامية تملك إمكانية التصدي للخلل الذي تحياه الأمة، ومن هنا عُني القرآن الكريم والسنة النبوية بهذا الجانب، وحقهم أن يُنفق عليهم وجوباً من وجهين:

أولاً: سمى الله ما يُعطى لذي القربى حقاً، والحق لا يطلق إلا على الشيء الواجب.

([11]) أبو الحسن الندوي، الأركان الأربعة، (ص 89).

([12]) رواه الترمذي، (341/7).

ثانياً: استخدمت صيغة الأمر في الآية،حيث قال الله تعالى: (فآت) وصيغة الأمر تفيد الوجوب.

وقال رسول الله ﷺ: "ابدأ بنفسك فتصدق عليها، فإن فضل شيء فلأهلك، فإن فضل عن أهلك شيء فلذي قرابتك، فإن فضل عن ذي قرابتك شيء فهكذا وهكذا يقول: فبين يديك وعن يمينك وعن شمالك"[13]، ويجبر الرجل على نفقة والديه وولده الذكور والإناث، ويجبره الحاكم ويحبسه إذا امتنع عن دفعها، ولو كان أباً، وذلك لضرورة دفع الهلاك عن القريب[14] وذلك الجبر للمتعسف حتى يحدث التكامل بين قوانين الإنسان وقوانين الكون، مادام الإنسان والكون يكونان معاً نظاماً واحداً مصدره واحد، وهو الله الخالق سبحانه .

ثالثاً: الإحسان باليتيم والمسكين وابن السبيل تقوية لأواصر المجتمع:

وفي ذلك يقول رسول الله ﷺ في بناء الوحدة المجتمعية كقوة واحدة: "إن الله فرض على أغنياء المسلمين في أموالهم بقدر الذي يسع فقراءهم، ولن يجهد الفقراء إذا جاعوا وعروا إلا بما يضيع أغنياؤهم، ألا وإن الله سيحاسبهم حساباً شديداً أو يعذبهم عذاباً أليماً"[15]

وبهذا فرض على الأغنياء من أهل كل بلد أن يقوموا بفقراءهم، فيُقام لهم بما يأكلون من القوت الذي لابد منه، ومن اللباس للشتاء والصيف بمثل ذلك، وبمسكن يحفظهم من المطر والصيف والشمس، وعيون المارة[16] وذلك فرض على الأغنياء من أهل كل بلد ويجبرهم السلطان على ذلك [17] .

وقد خاضها سيدنا أبو بكر الصديق حرباً ضد مانعي الزكاة، تحقيقاً للاتساق بين مطالب الشرع وقالب المجتمع، فهما متلازمان ولا ينفصلان.

وبذلك يستوعب النظام المالي الإسلامي حاجيات وحدات المجتمع الجزئي، بما يحقق الإشباع بين كل وحدة من وحدات المجتمع الكلي.

4 . الإحسان للجيران:

فالإحسان للجار من أقوى آليات القوة في المجتمع المسلم للربط بين النسق الإيماني والنسق الاجتماعي البيئي الطبيعي، مما يرسخ أسس البناء الاجتماعي بمنهج لا تؤثر فيه المؤثرات الخارجية، ولا التأثيرات الخارجة الوافدة،

([13]) صحيح مسلم بشرح النووي، (83/4).

([14]) الكاساني، "بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع"، (38/4).

([15]) الهيثمي، "مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، (197/3).

([16]) ابن حزم، "المحلى"، (224/6).

([17]) المصدر السابق، نفس الصفحة .

وبذلك تلتحم عناصر المجتمع وتتسق دون أدني ثغرة، وقد شدد النبي ﷺ على رعاية الجار والعناية به، فعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ عن النبي ﷺ قال: "مازال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه"[18]، وقال: "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره"[19] وبذلك يربط الله تعالى بين البؤر المجتمعية برابط قوي وثيق يقوم على الإحسان ، ويؤكد ذلك قوله ﷺ: ﴿ ليس بالمؤمن الذي يبيت شبعان وجاره جائع إلى جنبه ، وبذلك يوثق الشرع بين لبنات المجتمع المسلم بمادة الإيمان،وهي أقوة مادة بناء .

وتلك هي البؤر الكبرى التي تجمع وحدات المجتمع، وفي هذه المسئولية تأخذ الشريعة بعين الاعتبار كل أبعاد النسيج المجتمعي، وبذلك تنتعش كل وحدات المجتمع ليكون مجتمعاً لديه الكفاية الذاتية ما يدعوهُ ليكون إنتاجياً .

والقرآن يُعطي أهمية للعلاقات الإنسانية، ويجعلها أساس الاجتماع وأصل العمران. قال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾، [سورة آل عمران: الآية 103].

فالآية تشـــير إلى أنَّ الإحســـان بين القلوب نعمة ربانية جديرة بالتنويه، بها "تنتفي الأحقاد، وتنمحي البغضـــاء، وتـــتوارى الخلافات، وما يترتب عليها من غارات وحروب، ويذهب شبح الهلاك إلى غير رجعة ، لأن التأليف بين القلوب إنما هو اتحاد في المشـاعر، وانسـجام في الوجدان، وباعث على التضـامن في السـرَّاء والضـرَّاء، فهو إذن وحدة نفسـية، أو فكرية، أو عقلية أو روحية، ينشـأ عنها حتماً وحدة اجتماعية لا تنفصـم. ومن هنا يمكن القول: إن المجتمع في نظر القرآن تأليفٌ بين القلوب، واتحادٌ في المشاعر، وتَشارُكٌ في الوجدان"[20].

المبحث الثاني

أثر الإحسان في التنمية

في ضوء التكامل الحضاري القرآني النبوي

ينطلق أثر الإحسان في التنمية من محورين رئيسين، هما :

أولاً: أثر الإحسان في تثمير الموارد الطبيعية وحماية البيئة:

اهتم الإسلام بهذه القضية، فحثّ الأفراد على الاعتدال في شؤون الحياة كافة، فلا إفراط ولا تفريط، ولا إسراف ولا تقتير.

([18]) رواه البخاري في "صحيحه"، من حديث عائشة، (497/10).

([19]) رواه البخاري، في "صحيحه" من حديث أبي هريرة،(502/10).

([20]) التومي، محمد، "المجتمع الإنساني في القرآن"، (ص271).

وقد جعل الله عز وجل قضية الترشيد في الإنفاق والاستهلاك من صفات المؤمنين، فقال تعالى : ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً﴾،[سورة الفرقان:67]، ويكون الترشيد باستخدام أو استهلاك الموارد حسب الحاجة إليها وبشكل منظم ومخطط، إذ إن هناك ثروات وموارد غير متجددة مثل مصادر الوقود الأحفوري من النفط والفحم تنفد بالاستهلاك بشكل تدريجي، ولكي نستفيد من هذه الموارد أطول فترة ممكنة يجب علينا ترشيد استهلاكها، وقد ربطت السنة النبوية الشريفة بين التنمية المستدامة والمحافظة على البيئة ورعايتها، كما ربطت بينهما وبين الإيمان، فجعلت إماطة الأذى من الطريق شعبة من شعب الإيمان، والإحسان إلى أحياء البيئة مدعاة إلى الفوز برضوان الله وجنته، والإساءة إليها توجب دخول المسيء النار.

وفي مجال المحافظة على الحياة الفطرية نجد أن الإسلام نهى عن قطع السدر. فعن عبد الله بن حُبشي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من قطع سدرة صوب الله رأسه في النار"[21]. ومِنَ المعروف أن السدر ينبت في الصحاري، ويصبر على العطش، ويقاوم الحر، وينتفع الناس بتفيؤ ظلاله والأكل من ثماره إذا اجتازوا الفيافي في سفر أو في رحلة أو في بحثهم عن الكلأ والمرعى. والوعيد بالنار لمن قطع سدرة يدلّ على تأكيد المحافظة على مقومات البيئة الطبيعية، لما توفَّره من حفظ التوازن بين المخلوقات، وما يمثّله الاعتداء عليها من فقدان بعض العناصر الضرورية لسلامة الحياة والإنسان.

كما عنى الإسلام بتنمية الموارد المائية والمحافظة عليها من التلوث.

فقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن التبول في الماء الراكد حفاظا على سلامة الماء من التلوث؛ حيث إن الماء النجس لا يستفاد منه في طهارة أو شرب أو غير ذلك. ومثل البول تلوث الماء بأي ملوث (من المخلفات الصناعية أو المواد الكيماوية مثلا). فعن جابر (رضي الله عنه) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه، (نهى أن يُبال في الماء الراكد)[22]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا يبولن أحدكم في الماء الدائم الذي لا يجري، ثم يغتسل فيه)[23]. ولا يخفى وجه النهي في ذلك؛ حيث إن مثل هذه التصرفات تحرم الآخرين من الاستفادة من كميات كبيرة من الماء، كما أن ممارسة هذه السلوكيات –أي: التبول والتبرز في الموارد– تتسبب في إفساد تلك الموارد، فالتبول أو التبرز في الماء الراكد يجعله بيئة خصبة لتكاثر الميكروبات والفيروسات التي تساعد على انتشار الأمراض المعدية.

([21]) رواه أبو داود في "سننه"، الحديث رقم5239، (361/4).

([22]) "صحيح مسلم بشرح النووي"، كتاب الطهارة، باب النهي عن البول في الماء الراكد، (162/2).

([23]) رواه الشيخان. "صحيح البخاري"، كتاب الوضوء، باب: البول في الماء الدائم، الحديث رقم 239، (57/1)، "صحيح مسلم"، كتاب الطهارة، باب النهي عن البول في الماء الراكد، الحديث، (235/1).

كما حث الإسلام على التنمية بالمحافظة على المصادر المائية من الهدر؛ ولنا في رسول الله صلى الله عليه وسلم خير قدوة يحتذى بها في هذا المجال.

فعن ابن جبر قال: سمعت أنسا يقول: (كان النبي صلى الله عليه وسلم يغسل – أو كان يغتسل – بالصاع إلى خمسة أمداد، ويتوضأ بالمدّ)[24].

فهذا الحديث يدل على كراهة الإسراف في الماء للغسل والوضوء، واستحباب الاقتصاد.

ومن هنا؛ أجمع علماء الفقه على ضرورة الاقتصاد في الماء، وعدم الإسراف في استهلاكه، ولو كان المرء على شاطئ النهر، وقال بعض أصحاب الشافعي: إن هذا الإسراف حرام، وقال بعضهم: إنه مكروه كراهة تنزيه[25].

ثانيا : عمارة الأرض:

نؤثر استعمال المصطلح الإسلامي (عمارة الأرض)؛ لأن دلالات هذا المصطلح تتضمن معاني الوسيلة التي تتحقق بها التنمية كما تتضمن – في الوقت نفسه – الهدف من هذه التنمية[26].

وتتمثل عمارة الأرض في الإسلام في كل الوسائل التي يمكن من خلالها إحداث مختلف أنواع التنمية، سواء أكانت اقتصادية (صناعية/ زراعية) أم حضرية أم اجتماعية أم صحية أم روحية...إلخ.

كما أن عمارة الأرض تمثل الهدف الرئيسي للتنمية المستدامة، فضلاً عن كونها غاية دينية ومقصداً شرعياً، فالله خلق الإنسان لكي يضطلع بثلاث مهام رئيسية، هي: عبادة الله لقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾،[الذاريات:56]، وخلافته في الأرض لقوله عز وجل: ﴿وَإِذْ قالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة:30]، وعمارتها استناداً إلى قول الحق تبارك وتعالى: ﴿وإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُمْ مِنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾ [هود:61].

ومن الناحية اللغوية فإن معنى ﴿وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ هو: فوض إليكم أن تعمروها[27].

ومن الملاحظ أن ثمة ارتباطاً وثيقاً بين هذه المهام الثلاث وتداخلاً أيضاً، فعبادة الله هي من الخلافة في الأرض ومن عمارتها، والخلافة هي من عبادة الله، ومن عمارة الأرض كذلك.

([24])"صحيح البخاري"، كتاب الوضوء، باب: الوضوء بالمد، الحديث رقم 201، (51/1).

([25]) الشوكاني، "نيل الأوطار، (250/1).

([26]) العمارة في اللغة: نقيض الخراب، يقال:عمّر أرضه يعمرها عمارة.

ينظر: الأصفهاني، "معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم"، (ص388).

([27]) الراغب الأصفهاني، "معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم"، (ص 388).

وقد حث الإسلام على عمارة الأرض، وكتب السنة مليئة بذلك:

ففي الحث على الغرس والتشجير والزرع: روى البخاري عن أنس (رضي الله عنه) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن قامت الساعة، وفي يد أحدكم فسيلة، فإن استطاع ألا تقوم حتى يغرسها، فليغرسها"[28].

وليس هناك تأكيد على أهمية الغرس والتنمية من هذا الحديث الشريف، الذي يدل على أهمية الغرس وضروة العمل حتى ءاخر لحظة في حياة الإنسان، أكيداً على أهمية خلافة الله في الأرض

وقد رغبت السنة النبوية في الغرس والتشجير وفلاحة الأرض، وجعلت ثواب ذلك أجرا عظيما، فكل ما يصاب من ثمار الأشجار والزروع هو صدقة ينميها الله عز وجل لصاحبها إلى يوم القيامة، بما في ذلك ما تصيبه أحياء البيئة من طير وسباع وحيوان ودواب وحشرات. فعن أنس (رضي الله عنه)، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما مِنْ مُسلمٍ يَغرِسُ غَرْساً، أو يَزْرَعُ زَرْعاً فيأكُلُ منه طَيْرٌ أو إنسانٌ أو بهيمةٌ، إلاَّ كان لهُ بهِ صَدَقة"[29].

وعن أبي النجاشي مولى رافع بن خديج، قال: سمعت رافع بن خديج بن رافع عن عمه ظهير بن رافع، قال ظهير: "لقد نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أمر كان بنا رافقا. قلت: ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو حق. قال: دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: (ما تصنعون بمحاقلكم؟) قلت: نؤاجرها على الربيع وعلى الأوسق من التمر والشعير. قال: (لا تفعلوا. ازرعوها، أو أزرعوها، أو أمسكوها). قال رافع: قلت سمعا وطاعة"[30].

وفي مجال إحياء الأرض الموات[31] حث الإسلام على إصلاح تلك الأرض وزراعتها وجلب الماء إليها.

فعن عائشة (رضي الله عنها) عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (من أعمر أرضا ليست لأحد فهو أحق)[32]، أي أحق بها' وقال عمر (رضي الله عنه): (من أحيا أرضا ميتة فهي له)[33]. ولا يخفى أثر إحياء الأرض في زيادة الإنتاج الزراعي والحيواني، فضلا عن دوره في المحافظة على التربة ومنع تفكّكها وتعرضها للتصحر.

([28]) البخاري، الأدب المفرد، (242/1)، الهيثمي، "مجمع الزوائد، (63/4).

([29]) رواه الشيخان.

ينظر: "صحيح البخاري"، الحديث رقم:2320، (397/1)، "صحيح مسلم"، (364/5).

([30]) رواه الشيخان.

ينظر: "صحيح البخاري"، الحديث رقم:2339، (400/1)، "صحيح مسلم"، الحديث رقم:114، (370/5).

([31]) قال القزاز: "الموات الأرض التي لم تعمر، شبهت العمارة بالحياة وتعطيلها بفقد الحياة. وإحياء الموات أن يعمد الشخص لأرض لا يعلم تقدم مالك عليها لأحد فيحييها بالسقي أو الزرع أو الغرس أو البناء، فتصير بذلك ملكه، سواء أكانت فيما قرب من العمران أم بعد، سواء أذن له الإمام في ذلك أم لم يأذن، وهذا قول الجمهور". ينظر: العسقلاني، ابن حجر "فتح الباري بشرح صحيح البخاري"، (23/5).

([32]) صحيح البخاري، كتاب الحرث والمزارعة، باب: من أحيا أرضا مواتا، الحديث رقم: 2336، (400/1).

([33]) "صحيح البخاري"، (400/1).

وإذا لم يتمكن الإنسان من الحصول على عمل، فإن على أولي أمر المسلمين أن يهيئوا له عملا مناسباً.

المبحث الثالث

من النماذج التطبيقية للإحسان

في ضوء التكامل القرآني النبوي

من واجب الأمة أن تخاطب الأمم بلغاتها، ومن خلال ثقافاتها وحضاراتها ، وأن تراعي تغيرات الأفهام، وتبدلات الأزمنة، واختلاف الوسائل، والتباس المسائل، فتكشف الغيوم الداكنة بشمس الحقائق الساطعة ، وتكنس الأوهام المتراكمة بالحجج النيرة، والبراهين الميسَّرة عن سيرة وشخصية وحياة سيدنا رسول الله ﷺ، وأن تخاطب بذلك الناس جميعاً، بمختلف بلدانهم وعقولهم ولغاتهم، وأن تحشد لذلك كل الإمكانات العقلية والفكرية والسياسية والإعلامية والمادية.

وفيما يلي نذكر بعضاً من صور الإحسان التي تسمو بالأمم والشعوب، ولا تنفك عن ثوابت ديننا الحنيف، وتعاليمه.

صور من الإحسان ودفع للتنمية وتنبذ التواكل والبطالة :

ضرب النبي صلى الله عليه وسلم أعظم مثال في تجسيد نموذج حي من الإحسان إلى غير العامل لينمي من ظروف معيشته، ويؤهله ليكون منتجاً، فرسخ ﷺ في المجتمع –بتعاليمه الغزيرة– قيمًا اجتماعية وتنموية جليلة، كالإنتاجية والعمل، وكرس في نفوس المسلمين بغض العطلة، وحب التكسب من عرق الجبين.

فعن أنس بن مالك (رضي الله عنه) أن رجلاً من الأنصار أتى إلى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله، فقال: (أما في بيتك شيء؟). قال: بلى، حلس[34]. نلبس بعضه ونبسط بعضه، وقعب[35]. نشرب فيه من الماء. قال: (ائتني بهما)، فأتاه بهما، فأخذهما رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده، وقال: (من يشتري هذين؟). قال رجل: أنا آخذهما بدرهم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من يزيد على درهم؟) مرتين أو ثلاثا. قال رجل: أنا آخذهما بدرهمين، فأعطاهما إياه، وأخذ الدرهمين فأعطاهما الأنصاري، وقال: (اشترِ بأحدهما طعاما فانبذه إلى أهلك، واشتر بالآخر قدوماً فائتني به)، فأتاه به، فشدّ فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم عودا بيده، ثم قال: (اذهب فاحتطب وبع، ولا أرينك خمسة عشر يوماً)، ففعل، فجاء وقد أصاب

([34]) الحلس: بكسر الحاء وسكون اللام هو كساء غليظ يلي ظهر البعير.

ينظر: العظيم آبادي، "عون المعبود في شرح سنن أبي داود"، (5/51-54).

([35]) القعب: قدح ويستخدم للفرش والغطاء. والقعب: إناء من الفخار

ينظر: المصدر السابق.

عشرة دراهم، فاشترى ببعضها ثوبا، وببعضها طعاما. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (هذا خير لك من أن تجيء المسألة نكتة في وجهك يوم القيامة. إن المسألة لا تصلح إلا لثلاث: لذي فقر مدقع، أو لذي غرم مفظع، أو لذي دم موجع)[36].

ويستفاد من هذا الحديث: أن على صاحب الحاجة والمتعطل عن العمل –مع قدرته عليه– رفع شكواه إلى أولي الأمر؛ لكي يدبروا له أمره، وعلى أولي الأمر العمل على توفير العمل المناسب لمن يحتاج إليه دفعاً للبطالة. تبعا لظروف المجتمع واحتياجات المتعطلين فيه[37].

ولا يفهم مما سبق أن الإسلام ضد التكافل الاجتماعي وضد إعانة الفقراء والمساكين، فالإسلام هو الدين الوحيد الذي جعل أداء الزكاة ركنا من أركان العبادة، وجعل إطعام المسكين من لوازم الإيمان.

وإنما يفهم مما سبق أن موضوع التنمية لا يترك شيئاً صالحاً إلا تشعب فيه ورعاه، وعمل على إثماره .

وهذا عمر بن الخطاب يتنبه إلى ما تنبه إليه رسول الله انطلاقاً من هيمنة الشريعة على تصرفات الناس، فقد وجَّه عمر عاطلاً لا يستثمر ولا يُنمي، حين دخل عليه ذلك الشاب العاطل الفتى القوي وهو في المسجد وفي يده مشاقص[38] قائلاً من يُعنِّ في سبيل الله، فدعا به عمر، فأتى به، قال: مَن يستأجر مني هذا يعمل في أرضه؟ فقال رجل من الأنصار: أنا يا أمير المؤمنين، قال: بكم تأجره كل شهر؟ قال: بكذا بكذا، قال: خذه فانطلق به، فعمل في أرض الرجل أشهراً، ثم قال عمر للرجل: ما فعل أجيرنا؟ قال: صالح يا أمير المؤمنين، قال: ائتني به وبما اجتمع له من الأجر، فجاء به وبصَّرة من دراهم، فقال: خذ هذه، فإن شئت فالآن اغز، وإن شئت فاجلس.

بهذه المتابعة الشرعية من أمير المؤمنين تنطلق الهمم لتلغي البطالة، وما هذه المتابعة الإدارية التي بدت في عمر، إلا لأنه تذرع في مدرسة الشريعة على عين النبي ﷺ، والتي تعلم فيها أيضاً كيف يجمع بين العلم الشرعي والعمل الدنيوي دون أن يعطل أحدهما الآخر، ودون أن يستغني أحدهما عن الآخر، لأنهما روح وجسد واحد.

وكذا كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه من كبار رجال الأعمال المستثمرين، فكان يضرب في الأسفار للاكتساب بالتجارة، وقد

([36]) رواه أبو داود. انظر: سنن أبي داود، كتاب الزكاة، باب: ما تجوز فيه المسألة، الحديث رقم 1641، (ص254).

([37]) البدوي، إسماعيل إبراهيم، "عناصر الإنتاج في الاقتصاد الإسلامي والاقتصاد الوضعي: دراسة مقارنة"، (مجلس النشر العلمي بجامعة الكويت)، (ص181–182).

([38]) مشاقص: جمع مِشْقَص من النصال الطويل وليس بالعريش، وهو شر النبل يرمَى بها الصيد.

ينظر: ابن منظور، "لسان العرب"، باب: شقص، (48/7).

سافر إلى بُصرى[39] للتجارة [40]،

وفي ظل هذا المزج بين العمل الاقتصادي وروح الشريعة، ينقذ الإسلام البشرية المهددة في كينونتها الإنسانية، ويحطم قفص المادية الصرفة، حتى ينصهر في روح الإيمان، فتسعد الإنسانية بالغنى الشامل مادياً ونفسياً .

ولم يكن أبو بكر يجمع المال لذاته ، ولكن رغبة منه في الإحسان والنفقة على الفقراء والمساكين كما عرف واشتهر بذلك.

وللإحسان صور كثيرة في الإسلام، لا يسعنا أن نذكرها على سبيل الحصر في هذا البحث المتواضع، إلا أننا لو رجعنا إلى آيات القرآن الكريم، وأحاديث نبينا صلى الله عليه وسلم؛ لوجدنا الكثير من الأساليب المتنوعة التي تحث على الإحسان بكل صوره وألوانه المختلفة، لتحقق لنا أسمى معاني التحضر والحفاظ على التنمية المستدامة والتطور الدائم.

الخاتمة

بعد أن من الله علينا بوصولنا للختام؛ فإننا نوصي كل من أنعم النظر في هذه الكلمات، ورجع إليها راجياً استكمال مسيرة البحث والاطلاع ما يلي:

التوصيات:

أولاً: تكثيف الجهود البحثية في إبراز وتوصيف القيم المجتمعية في القرآن الكريم، والعمل على تطبيقه على الواقع.

ثانياً: وضع مشاريع مقترحة للإستفادة من الدراسات القرآنية والنبوية التي تناولت الجانب التطبيقي لقيم المجتمع الإسلامي.

ثالثاً: العمل على تطوير الأداء التنفيذي للتنمية المستدامة في الإسلام، فليس المراد هو مجرد دراسة السابق للإقتداء التماثلي فقط، وإنما المراد الإقتداء بكل وسيلة تؤدي إلى التطوير، فمن باب أولى تطوير الوسائل مادامت لا تتعارض مع أحكام الشريعة.

النتائج:

([39]) بصرى: من أرض الشام من أعمال دمشق وهي مدينة حوران.

ينظر: الحميري، محمد عبد المنعم، "الروض المعطار في خبر الأقطار، (109/1).

([40]) الهيثمي، " مجمع الزوائد ومنبع الفوائد"، (62/4-63).

أولاً: لم تتوقف التشريعات الإسلامية على مجرد الأحكام الشرعية، والقضايا المتعلقة بعبادة الله تعالى فقط، وإنما أيضاً اهتمت بالجانب الدنيوي المتعلق بمصالح الأمة، والتي تعتبر أيضاً من الأمور الدينية، حتى كرم الله تعالى تلك الأمور فحث على الاهتمام بها ونهى عن الإعتداء عليها، أو عدم الاهتمام بها.

ثانياً: الناظر في القرآن والسنة بعين المقارن بينهما؛ يرى جلياً أن السنة تتكامل وتتناسق مع القرآن، وأن نبينا صلوات الله وسلامه وعليه خير قدوة في الموازنة بين جميع الجوانب الواجب على الإنسا الاهتمام بها، فلم يهتم بالعبادة دون العمل أو العكس، وإنما جمع بينهما بأمثل صورة، وكذلك اتبعه الصحابة الكرام رضوان الله عليهم أجمعين.

ثالثاً: من خلال استقراء النصوص التي أمرت بالزكاة والأخرى التي أمرت بالعمل ونبذت البطالة؛ فإننا نجد قانوناً عجيباً في الجمع بينهما، فلا يعني أن الزكاة واجبة على المسلم –التي تنطبق عليه شروط وجوبها– ألا يعمل المستحق لها، وإنما يجب العمل عليه ما دام في استطاعته، وهكذا تسمو الأمم، بالجمع بين الإنفاق على المحتاج، وعم التقاعس عن العمل حتى في شأن المستحق لها.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- ابن حزم، "المحلى"، (ن: مكتبة الجمهورية المصرية العربية، بدون تاريخ) .
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد: مقدمة ابن خلدون، (بيروت: دار القلم، ط. خامسة ، 1984م).
- ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين، "مقاييس اللغة"، ت: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر. 395هـ
- ابن منظور، "لسان العرب"، ت: عبد الله علي الكبير، ومحمد أحمد حسب الله، وهاشم محمد الشاذلي، (ط.دار المعارف).
- أبو الأعلى المودودي، "الحضارة الإسلامية أسسها ومبادؤها"، (ن: دار العربية للطباعة والنشر– بيروت).
- أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي ، المحكم والمحيط الأعظم ، تحقيق عبد الحميد هنداوي
- أبو داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي، "سنن أبي داود"، ت: محمد محيي الدين عبد الحميد، (ن: المكتبة العصرية، صيدا – بيروت).
- أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، "مسند الإمام"، ت: أحمد محمد شاكر، (ن: دار الحديث – القاهرة، ط: الأولى، 1416 هـ - 1995 م).

- أحمد زكى بدوي، معجم مصطلحات الرعاية والتنمية الاجتماعية، (ص 203)، دار الكتاب اللبناني، بدون تاريخ.
- الأصفهاني، الراغب، "معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم"، (ط. دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت).
- البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة أبو عبد الله، " الأدب المفرد" بالتعليقات، ت: سمير بن أمين الزهيري، (ن: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط: الأولى، 1419 هـ - 1998 م).
- البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة أبو عبد الله، "الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري"، ت: محمد زهير بن ناصر الناصر، (ن: دار طوق النجاة "مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي"، ط: الأولى، 1422هـ).
- البدوي، إسماعيل إبراهيم، " عناصر الإنتاج في الاقتصاد الإسلامي والاقتصاد الوضعي- داسة مقارنة"، (مجلس النشر العلمي بجامعة الكويت).
- الترمذي، أبو عيسى، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، "سنن الترمذي"، ت: أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، وإبراهيم عطوة عوض، (ن: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، ط: الثانية، 1395هـ – 1975م.
- الثعلبي، أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم، النيسابوري ، "الكشف والبيان" ، ت: الإمام أبي محمد بن عاشور ، مراجعة وتدقيق الأستاذ نظير الساعدي (دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان - 1422 هـ - 2002 م الطبعة : الأولى).
- الحميري، محمد بن عبد المنعم، "الروض المعطار في خبر الأقطار"، ت: إحسان عباس، (ن: مؤسسة ناصر للثقافة، دار السراج، بيروت، ط الثانية، سنة 1980م).
- الرازي، محمد بن أبي بكر، "مختار الصحاح"، (ط. دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، د.ت).
- الراغب الأصفهاني، أبو القاسم، الحسين بن محمد، "المفردات في غريب القرآن"، (ن: دار القلم، دمشق- بيروت). 502هـ
- الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني ، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، (دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان . الطبعة : 1415 هـ- 1995 م).
- الشوكاني، محمد بن علي ، نيل الأوطار، ، (ط. دار الجيل، بيروت ، بدون تاريخ).
- العظيم آبادي، محمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر، أبو عبد الرحمن، شرف الحق، الصديقي، "عون المعبود شرح سنن أبي داود"، ومعه حاشية ابن القيم: تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته، (ن: دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الثانية، 1415 هـ).

- العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، ت: محب الدين بن الخطيب ، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي ، (ط. دار الريان للتراث، المكتبة السلفية، طبعة ثالثة ، سنة 1407هـ).
- الفيروزآبادي، مجد الدين، أبوطاهر، محمد بن يعقوب، "القاموس المحيط"، ت: مكتب تحقيق التراث– بيروت، (ن:مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع. 817هـ
- الكاساني، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، (ط: دار الكتاب العربي، سنة 1394هـ).
- المتقى، على علاء الدين الهندي، "كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال"، (ن: مجلس دائرة المعارف، ط: الثانية، سنة 1373هـ).
- المعجم الوسيط (ط.دار إحياء التراث العربى ، القاهرة طبعة ثانية ، سنة 1973م).
- الندوي، أبو الحسن، "الأركان الأربعة".
- النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف، "المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج"، (ن: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط: الثانية، 1392هـ).
- الهيثمي، نور الدين علي بن أبي بكر، "مجمع الزوائد ومنبع الفوائد"،(ط. دار الريان للتراث، دار الكتاب العربي، القاهرة، بيروت، د.ت)
- عادل حسين، "تجربة مصر في التنمية الاقتصادية"، (منشورات الندوة الفكرية بمركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت 1998م).
- عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمي الدمشقي الشافعي ، تفسير العز بن عبد السلام تفسير القرآن ، تحقيق الدكتور عبد الله بن إبراهيم الوهبي (دار ابن حزم . بيروت . الطبعة الأولى : 1416 هـ / 1996م).
- علي بن محمد بن علي الجرجاني ،التعريفات ، تحقيق : إبراهيم الأبياري (ط. دار الكتاب العربي – بيروت، طبعة أولى ، 1405).
- مرسي، سيد عبد الحميد، "العلاقات الإنسانية، (ن: مكتبة وهبة ، د. ت).
- مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، "المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم"، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، (ن: دار إحياء التراث العربي – بيروت).
- محمد محمد حسين، "الإسلام والحضارة العربية"، (ن:دار الفرقان).
- محمد محيي الدين عبد الحميد، (ن: المكتبة العصرية، صيدا – بيروت).